ضمير الشأن بين العربية والعبرية

دراسة مقارنة

الدكتور عبد الكافي توفيق المرعب

نُشر هذا البحث في مجلة التراث العربي الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب

العدد المزدوج (١٢٠-١٢١/ لعام ٢٠١١م)

ضميرُ الشأنِ جانبٌ من الدرس النحويِّ، فرّقَهُ النحويّون في غيرِ ما موضعٍ، لكنّه رَكَز في بابي"كانَ وإنَّ" وأخواتِهما، لأنَّ النواسخَ تحتاجُ إلى معمولها الأوّلِ، فإذا فُقِدَ من الجملةِ قدَّرَهُ النَّحْوِيُّون مضْمَراً يُعبِّرُ عن الشأن أو القصة.[١]

وحبَّذا لو أبرزنا جانباً من الآلة النحويّة في العبرية كـ "ضمير الشأن"، وقارنّاه بالعربيّة، مع العلم أنَّ العبرية ذكرتِ الضمائرَ بأنواعها من دون أنْ تذكرَ ضميرَ الشأنِ صراحةً، لكنّه موجودٌ في أسفار التوراة ،وفي كتب العبادات، وبعض المعجمات ، وهذا ما سنراه لاحقاً[٢].

وقبلَ أنْ أعرضَ أراءَ النحويين والمفسِّرين المتقدِّمين ومواقفَهم من ضمير الشأنِ أو القصّةِ في العربيَّة لابدَّ من الوقوف على معنى الشأنِ عند علماءِ اللغة، لنرى المعنى اللغوي لهذه التسمية.

- الشأنُ عند أصحاب اللغة:

قال الخليل(ت١٧٥هـ) والأزهريُّ (ت٣٧٠هـ): ((الشأن:الخطب))[٣]، وقال الجوهريُّ (ت٣٩٣هـ): ((الشأن: الأمر والحال. يُقالُ: لَأَشْأَنَنَّ شأْنَهُم أي: لأُفْسِدَنَّ أمْرَهُم))،[٤]وقال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): ((الشينُ والهمزةُ والنون أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ابتغاء وطلبٍ، من ذلك قول العرب، شأنتُ شأنَهُ أي: قصدتُ قصدَهُ))[٥]، وقال في المجمل: ((الشأنُ: الحالُ والأمرُ، والشأن فيما يقال: الطلبُ، وأنشدوا:

يا طالبَ الجودِ إنَّ الجودَ مَكْرُمَةٌ لا البخلُ منكَ ولا من شأنِكَ الجودُ

---

[١] – انظر الضمائر في العربية للدكتور محمد عبدالله جبر ص ١٤١بتصرُّف.

[٢] – انظر دروس في ا للغة العبريَّة ص ١٣٩، والقواعد الأساسية في اللغة العبرية ص ١٥٦، والكنز في قواعد اللغة العبريّة ص ٨٩.

[٣] – العين ٢٨٧/٦و تهذيب اللغة ٤١٥/١١.

[٤] – تاج اللغة وصحاح العربية :(شأن) ، وانظر أساس البلاغة : (شأن).

[٥] – مقاييس اللغة٢٣٨/٣ .

أي: من طَلَبِكَ))[1]، وقال ابن منظور(ت٧١١هـ): ((الشأن:الخطبُ والأمرُ والحالُ))[2]، وقال الفيروزآبادي (ت٨١٦هـ): ((الشأنُ: الخطبُ والأمر))[3]، وقال الزَّبيدي (ت١٢٠٥هـ): ((الشأن: الخطبُ والأمرُ والحال الذي يشين، ويُصلِحُ، ولا يُقالُ إلاّ فيما يَعْظُمُ من الأحوال والأمور،وقوله تعالى: ﴿كلَّ يومٍ هو في شأنٍ﴾ [الرحمن/٢٩]، قال المفسرون: من شأنه أنْ يُعِزَّ ذليلاً ويُذِلَّ عزيزاً، ويُغْني فقيراً، ويُفْقِرُ غنيّاً ولا يَشْغَلُهُ شأنٌ عن شأنٍ))[4]، وقال الكفويُّ (ت ١٠٩٤هـ): ((إذا وقع قبل الجملةِ ضميرٌ غائبٌ إنْ كان مذكّراً يُسَمَّى ضميرَ الشأنِ، نحو:"هو زيدٌ منطلقٌ"، وإنْ كانَ مؤنّثاً يُسمّى ضميرَ القصّةِ، ويعودُ إلى ما في الذهن من شأنٍ أو قِصَّةٍ أي: الشأن والقصّةُ مضمون الجملةِ بعده،ولا يخفى أنَّ الشأنَ أو القصّةَ أمرٌ مبهمٌ لا يتعيّنُ إلا لخصوصيّةٍ يُعَدُّ هو فيها، ويتّحدُ هو مع مضمونها في التحقيق، فيكونُ ضميرُ الشأنِ أو القِصّةِ متّحداً مع مضمون الجملة التي بعده، ولهذا لا يحتاج في تلك الجملةِ إلى العائدِ إلى المبتدأ. ويُخْتارُ تأنيثهُ إذا كان فيها مؤنّثٌ غيرُ فضلةٍ، نحو: "هي هندٌ مليحةٌ". وقوله تعالى: ﴿فإنّها لا تعمى الأبصارُ﴾ [الحج/٤٦]، القصد المطابقة لا لرجوعه إليه، وضميرُ الشأنِ لا يحتاج إلى ظاهرٍ يعود إليه بخلاف ضمير الغائبِ))[5].

ومن خلال ما تقدّمَ نرى أنَّ الشأنَ من حيثُ اللغةُ هو الحالُ والأمرُ والخطبُ الذي لا يُقال إلا فيما يَعْظُمُ من الأحوال والأمور، أمّا من حيثُ الاصطلاحُ فهو إذا وقع قبل الجملةِ ضميرٌ غائبٌ إنْ كان مذكّراً يُسمَّى ضميرَ الشأنِ،وإذا كان مؤنّثاً يُسَمَّى ضميرَ القصّةِ، وسيكونُ أكثرَ وضوحاً عندما نقفُ على **تسميته، وصفاته، وطبيعته** في العربيّة.

أولاً: تَسْمِيَتُهُ: لم يصرِّح النحويّون الأوائلُ بتسمية ضمير الشأن، لكنّهم أشاروا إليه إشارةً، فمنهم مَن سمّاهُ إضماراً أوأمراً تارةً، وحديثاً أوخبراً أو شأناً تارةً أخرى، ومجهولاً ثالثةً، وعماداً رابعةً.فسمّاه سيبويه(ت١٨٠هـ) إضماراً وأمراً، إذ قال: ((إذا قلتَ:" إنَّه من يأتِنا نأتِهِ، وإنَّهُ أمةُ اللهِ ذاهبةٌ"، فمن ذلك قولُ بعضِ العرب: "ليسَ خلقَ اللهُ مثْلَهُ". فلولا أنَّ فيه إضماراً لم يجزْ أنْ تذكرَ الفعلَ ولم تعملْهُ في اسمٍ، ولكن فيه من الإضمار مثلُ ما في"إنَّه". قال الشاعر:

فأصبحوا والنوى عالي معرَّسِهم ... وليسَ كلَّ النوى تُلْقي المساكينُ

---

[1] – مجمل اللغة ٥١٩/٣.

[2] – اللسان : (شأن) ،وانظر النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٣٧/٢.

[3] – القاموس المحيط:(شأن).

[4] – تاج العروس :(شأن)، وانظر جمهرة اللغة ١١٠٨/٢.

[5] – الكليّات ١٣٣/٣ وما بعدها.

فلو كان "كلَّ" على ليس ولا إضمار فيه لم يكنْ إلا الرفعُ في"كلَّ"، لكنَّهُ انتصب على تلقي.ولا يجوز أن تُحملَ "المساكينُ" على "ليس"، وقد قدَّمْتَ فجعلتَ الذي يعملُ فيه الفعل الآخرُ يلي الأوَّلَ، وهذا لا يحسن. ومثل ذلك في الإضمار قولُ بعضِ الشعراء:

إذا مُتُّ كانَ الناسُ صِنْفانِ شامِتٌ وآخَرُ مُثْنٍ بالذي كنتُ أصْنَعُ

أضمرَ فيها[1]، وقال بعضُهُم: " كان أنتَ خيرٌ منهُ"، كأنّه قال: "إنَّه أنتَ خيرٌ منه". ومثله: ﴿كادَ يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم﴾ [التوبة/١١٧]، كما قلتَ: "ما كان الطِّيْبُ إلا المسْكُ" على إعمال"ما كان الأمرُ الطيْبُ إلا المسْكُ"، فجاز هذا إذا كان معناه:" ما الطيْبُ إلاّ المسكُ

وقال هشام أخو ذي الرمّة:

هي الشفاءُ لدائي لو ظَفِرْتُ بها وليسَ منها شِفاءُ الداءِ مَبْذولُ

هذا كلُّهُ سُمِعَ من العرب والوجه والحدُّ أنْ تحملَه على أنّ في "ليس" إضماراً، وهذا مبتدأٌ كقوله: "إنَّهُ أمةُ اللهِ ذاهبةٌ". إلاّ أنّهم زعموا أنَّ بعضَهُم قال:"ليسَ الطيْبُ إلاّ المسكُ، وما كان الطيْبُ إلاّ المسكُ)) [2].أي:" ليس الأمرُ، وما كان الأمرُ الطِّيبُ إلاَّ المسكُ"، إذ جعلَ في "ليس وكان" ضميرَ شأنٍ وقصّةٍ، وجعل من الجملةِ الاسميَّةِ خبراً لهما.

لكنَّ أبا سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ) سمّى المضمرَ الذي تحدّث عنه سيبويه ضميرَ الشأن صراحةً، إذ قال: ((اعلم أن كلَّ جملةٍ فهي حديثُ أمرٍ وشأنٍ، والعربُ قد تقدّمُ قبلَ الجُمَلِ ضميرَ الأمرِ والشأنِ، ثمّ تأتي الجملةُ، فتكون الجملةُ هي خبرَ الأمرِ والشأنِ، لأنّ الجملةَ هي الأمرُ والشأنُ، وهذا يسمّيه الكوفيّون المجهولَ.

فمن ذلك قولهم:"إنَّه أمةُ الله ذاهبةٌ، وإنّه زيدٌ ذاهبٌ" فـ"الهاء" ضميرُ الأمرِ، و"زيدٌ ذاهبٌ" مبتدأ، وخبرُهُ في موضع خبرِ الأمرِ والشأنِ، و"إنّه مَنْ يأتنا نأته،وإنّهُ قامَ عبدُ الله". فالهاء في هذه المواضعِ هي الاسم، وما بعدها من الجملة خبرٌ ولا يجوزُ حذفُها إلاّ في الشعر. وربّما جعلوا مكان ضميرِ الأمرِ والشأنِ ضميرَ القصّة. فيقولون:"إنّها جاريَتُكَ منطلقةٌ"، قال تعالى: ﴿فإنّها لا تعمى الأبصارُ﴾ [الحج/٤٦] تقديرها: فإنّ القصّةَ. وأكثرُ ما يجيء إضمار القِصَّة مع المؤنّث، وإضمارها مع المذكر جائز في القياس، ومن ذلك: "كان زيدٌ ذاهبٌ، وكان قام زيدٌ" تريد: "كان الأمر والشأن زيدٌ ذاهبٌ" ففي "كان"ضمير الأمر، والجملة التي بعدها في موضع خبر كان)) [3]. وقد سمّاه الفراءُ (ت٢٠٧هـ) عماداً، إذ قال في قوله تعالى: ﴿ولا يحْسَبَنَّ الذين يبخلون

[1] – أي: في كان ضمير غائب تقديره: كان الأمر والشأن الناسُ صنفانِ.

[2] – الكتاب ١/ ٦٩-٧١، ١٤٧، وانظر شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ٦/٣ .

[3] –شرح كتاب سيبويه ٣٤٨/١-٣٤٩.

بما آتاهُمُ اللهُ من فضله هو خيراً لهم﴾[آل عمران/١٨٠]. يقال: إنّما "هو" ههنا عمادٌ، فأين اسم هذا العماد؟ قيل: هو مضمرٌ معناه: فلا يحسبنَّ الباخلون البخلَ هو خيراً لهم، فاكتفى بذكر يبخلون من البخل، كما تقول في الكلام: "قدم فلان فسررتُ به، وأنت تريدُ: سررتُ بقدومه)) [١]، وقال في قوله تعالى: ((﴿فإنَّها لا تعمى الأبصار﴾ [الحج/٤٦] ((الهاء: هاء عماد تُوَقَّى[٢] بها إنَّ)) [٣]،وقال في قوله تعالى: ((﴿إنَّه أنا اللهُ﴾ [النمل/٩] هذه الهاء هاء عماد، وهو اسم لا يظهر، وقد فُسِّرَ))[٤].وسماه ثعلبٌ(ت ٢٩١هـ) مجهولاً إذ قال في قوله تعالى:((﴿فإنَّها لا تعمى الأبصار﴾ [الحج/٤٦] إذا جاء بعد المجهول مؤنثٌ ذُكِّرَ وأنّثَ))[٥]، وقال أيضاً: ((مَنْ هو قائمٌ جاريتُكَ، ومن هو يقوم جاريتُكَ، جيّدٌ ولا يُقْطَعُ منه ولا يُنْسَقُ عليه، ويسمَّى مجهولاً، وهو يشبهُ"مَن هو قائمةٌ جاريتك"))[٦]. وسماهُ المبرّدُ(ت٢٨٥هـ) حديثاً أو خبراً، إذ قال: ((والوجه الذي يصحّ فيه أن تُضْمِر في كان الخبر أو الحديث، أو ما أشبههُ على شريطة التفسير، ويكون ما بعدَهُ تفسيراً له، فيكون مثل الهاء التي تظهر في "إنَّ" إلاّ أنَّه ضميرٌ مرفوع، فلا يظهر، فيصير الذي بعدَهُ مرفوعاً بالابتداء والخبر. فتقول على صحّة المسألة: "كان غلامَهُ زيدٌ ضاربٌ". فما جاء من الضمير في هذا الباب قوله:

فأصبحوا والنَّوى عالي مُعَرَّسِهِم ... وليسَ كلَّ النّوى يُلْقي المساكينُ

أضمر في ليس))[٧]، وقال ابن الشجري (ت٥٤٢هـ) في البيت الذي استشهد به أبو العباس المبرّد: ((ذكره شاهداً على إضمار الشأن والحديث في "ليس" فنصبَ"كلَّ النوى" بـ"يُلقي"، فخَلَتْ لذلك الجملةُ من ضميرٍ ظاهرٍ أو مقدَّرٍ، يعود على مرفوعِ "ليس" لأنّ ضميرَ الشأنِ لا يعود عليه من الجملةِ المخْبَرِ بها عنه ضميرٌ، لأنَّ هذا المخبَرَ عنه هو الخبرُ في المعنى، وإنّما يلزمُ أن يعودَ على المخبَرِ عنه ضميرٌ من الجملةِ المخبَر بها عنه إذا كان الخبرُ غيرَ المخبَرِ عنه، كقولك: "ليس زيدٌ يُكرِمُهُ أخوكَ"، فقولك:"يُكرِمُهُ أخوك" حديثٌ عن زيدٍ، والحديثُ غيرُ المحدَّث عنهُ. ولو رفعتَ "كلَّ النوى" بـ"ليس" لزمك أن تُقَدِّرَ ضميراً يعود إليه من الجملة، تريد: "وليس كلُّ النوى يُلقيهِ المساكينُ، وحَذْفُ الضميرِ العائدِ من الخبرِ إلى المخبَرِ عنه ضعيفٌ، مبايِنٌ لحذف العائد من الصفة إلى الموصوف)) [٨]. وسمَّاهُ الزجّاجُ (ت٣١١هـ) أمراً، إذ قال في سورة الإخلاص: ﴿ قل هو

---

[١] – معاني القرآن ١/ ٢٤٨-٢٤٩، وانظر مصطلحات النحو الكوفي ص ٦٦- ٦٧.

[٢] – تُوَقَّى بها إنَّ: تكتفي بها إنَّ.

[٣] – معاني القرآن ٢/٢٢٨.

[٤] – معاني القرآن ٢/ ٢٨٧.

[٥] – مجالس ثعلب ١/ ١٠٢ وانظر مصطلحات النحو الكوفي ص ٦٦- ٦٧.

[٦] – مجالس ثعلب ٢/٣٨٦.

[٧] – المقتضب ٤/٩٩-١٠٠.

[٨] – أمالي ابن الشجري ٢/٤٩٧.

الله أحد﴾ [الإخلاص/١] هو: مبتدأ، ويجوز أن يكون"هو" للأمر، كما تقول:"هو زيدٌ قائمٌ، أي:الأمر زيدٌ قائمٌ"، والمعنى:"الأمرُ اللهُ أحدٌ"))[١]. وسمّاه ابن السرّاج (ت٣١٦هـ) مجهولاً، إذ قال في قوله: ((كان أخواكَ يضربانِ زيداً، وتجوز في هذه المسألة إذا أضمرتَ في"كان" مجهولاً)) [٢]. لكنَّ الزجّاجيَّ(ت٣٤٠هـ) سمَّى الضميرَ ضميرَ الشأنِ الذي استتر في "كان"، إذ قال: ((ويكون اسم كان مستتراً فيها بمعنى الأمرِ والشأنِ، وتقعُ بعدَه جملةٌ تفسِّرُ ذلك المضمرَ، لأنّه مضمرٌ لا يظهرُ، فلابدَّ مما يفسِّرُهُ، كقولك: "كان زيدٌ قائمٌ"، والتقديرُ:" كان الأمرُ زيدٌ قائمٌ". قال الشاعر:

إذا مُتُّ كان الناسُ نِصْفانِ شامتٌ وآخَرُ مُثْنٍ بالذي كنتُ أصْنَعُ

التقدير:" كان الأمرُ الناسُ صنفانِ" فـ"الأمر" اسمُ كان وهو مضمرٌ فيها،و" الناس صنفانِ" ابتداءٌ وخبرٌ في موضع خبرِ "كان"،ومثله قول هشام أخو ذي الرمّة:

هي الشفاءُ لدائي لو ظفرتُ بها وليسَ منها شفاءُ الداءِ مبذولُ)) [٣].

وصرَّح أبوعليٍّ الفارسيُّ (ت٣٧٧هـ) بتسمية هذا الضميرِ ضمير القصّةِ إذا جاء مؤنّثاً، وضمير الحديثِ والأمرِ إذا جاء مذكَّراً، إذ قال في ما أُضْمِرَ قبل الذكرِ وفُسِّرَ بجملةٍ، وتدخل عليه" كان وإنَّ، وعلمتُ وظننتُ" وأخواتهنَّ : ((هذا الضربُ أصلهُ أنْ يقعَ في الابتداء، وإذا كان مَوْضِعُهُ الابتداءَ دخل عليه ما يدخلُ على المبتدأ من"كان وإنَّ" وبابيهما، و"علمتُ وظننْتُ" وأخواتهما. قالوا في قوله تعالى: ﴿قل هو اللهُ أحدٌ﴾ [الإخلاص/١]: إنَّ الضمير للأمر والحديثِ، وإنَّ الجملة التي هي المبتدأ وخبره في موضع خبره. وتدخل"إنَّ" على المبتدأ، فتقول:" إنَّهُ زيدٌ منطلقٌ"، وفي التنْزيل: ﴿إنَّهُ مَنْ يأتِ رَبَّهُ مُجْرماً فإنَّ لهُ﴾ [طه/٧٤]، وفيه: ﴿فإنَّها لا تعمى الأبصار﴾[الحج/٤٦]، فجاء التأنيث على ضمير القصّة، كما جاء التذكير على ضمير الحديث والأمر)) [٤]. وسمّاه ابن جنّي(ت٣٩٢هـ) شأناً وحديثاً،ويضمر في كان، ويأتي اسماً لها، إذ قال: ((وقد يُضْمَرُ في كان اسمها، وهو ضمير الشأنِ والحديثِ، فتقعُ الجملُ بعدها أخباراً عنها، تقول: "كان زيدٌ قائمٌ"، أي:"كان الشانُ والحديثُ زيدٌ قائمٌ"، قال الشاعر:

إذا مُتُّ كان الناسُ نِصْفانِ شامتٌ وآخَرُ مُثْنٍ بالذي كنتُ أصْنَعُ

---

[١] – معاني القرآن وإعرابه ٣٧٧/٥ ، وانظر البيان في غريب إعراب القرآن ٥٤٥/٢.

[٢] – الأصول في النحو ٨٨/١.

[٣] – الجمل للزجاجي ص ٤٩-٥٠ ، وانظر شرح جمل الزجّاجي لابن عصفور ٣٩٣/١.

[٤] – المسائل الحلبيّات ص ٢٤٧ وانظر التعليقة على كتاب سيبويه ١/ ٩٠.

أي: كان الشأنُ والحديثُ الناسُ نصفانِ)) [1]. وسمّاهُ الصيمريُّ (من نحاة القرن الرابع الهجري) ضميرَ الأمرِ والشأن والقصّةِ والحديثِ، وجوَّز إضمارَه في "إنَّ"، إذ قال: ((إنّهُ يجوز أن تُضْمِرَ في"إنَّ" الأمرَ والشأنَ فتقول: "إنَّهُ زيدٌ خارجٌ" فيكون الهاءُ اسمَ "إنَّ"، و"زيدٌ خارجٌ" في موضع الخبرِ، والهاء ضميرُ الأمرِ والحديثِ.

وقد تُضْمَرُ القِصَّةُ، لأنَّ كلَّ كلامٍ فهو أمرٌ وقصَّةٌ وحديثٌ، وأكثرُ ما تضمر القصّة مع المؤنّثِ، تقول: "إنَّها أمةُ اللهِ ذاهبةٌ"، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّها إنْ تكُ مِثقالَ حبّةٍ من خَرْدلٍ﴾ [لقمان/١٦]، وقال في التذكير: ﴿إنَّهُ من يأتِ رَبَّهُ مُجْرماً﴾ [طه/٧٤].

وقد أجازوا الإضمار في"لكنَّ" في الشعر، وأنشد سيبويه[2] للفرزدق:

فلو كُنتَ ضَبّيّاً عَرَفْتَ قرابتي ولكنَّ زِنْجيٌّ عظيمُ المشافرِ

على تقدير: "ولكنَّكَ زِنْجيٌّ". وحكى الخليلُ أنَّ بعضَ العربِ يقولُ:"إنَّ بك زيدٌ مأخوذٌ" على تقدير: "إنَّه بك زيدٌ مأخوذٌ"، قال سيبويه: والنصبُ في كلام العرب أكثر)) [3]. وهذا الضمير إذا أُضمِرَ ثمَّ فُسِّرَ، كان ذلك أفضلَ له من أنْ يُذْكَرَ من غيرِ إضمارٍ، قال عبد القاهرُ (ت ٤٧١هـ): ((إنَّ الشيءَ إذا أُضمِرَ ثمَّ فُسِّرَ، كان ذلك أفخمَ له من أن يُذْكَرَ من غير تقْدمةِ إضمارٍ.ويدلُّ على صحَّة ما قالوه أنَّا نعْلَمُ ضرورةً في قوله تعالى: ﴿ فإنَّها لا تعمى الأبصار﴾ [الحج/٤٦] فخامةً وشرفاً وروعةً، لا نجد منها شيئاً في قولنا: "فإنَّ الأبصار لا تعمى"، وكذلك السبيل أبداً في كلِّ كلامٍ كان فيه ضميرُ قصَّةٍ. فقوله تعالى: ﴿إنَّه لا يُفْلحُ الكافرون ﴾[المؤمنون/١١٧]، يُفيد من القوَّةِ في نفي الفلاح عن الكافرين، مالو قيل:" إنَّ الكافرين لا يفلحون"، لم يُسْتَفَدْ ذلك. ولم يكن ذلك كذلك إلاَّ لأنَّك تُعْلِمُهُ إيَّاه من بعد تقدِمةٍ وتنْبيهٍ، أنت به في حكم من بدأَ وأعادَ ووطَّدَ،ثمَّ بنى ولوَّحَ ثمَّ صرَّح. ولا يخفى مكانُ المزيَّةِ فيما طريقه هذا الطريق)). [4]

وصرَّحَ الزمخشريُّ (ت٥٣٧هـ) بتسمية هذا الضميرِ، إذ قال: ((ويقدّمون قبل الجملة ضميراً يُسمَّى ضميرَ الشأن والقصّةِ، وهو المجهول عند الكوفيين، وذلك نحو قولك:" هو زيدٌ منطلقٌ"، أي:" الشأنُ والحديثُ زيدٌ منطلقٌ"، ومنه قوله تعالى:﴿قل هو اللهُ أحدٌ﴾[الإخلاص/١][5].وقاله الباقولي (ت٥٤٣هـ) أيضاً في سورة الإخلاص: ((أي الشأنُ والأمر اللهُ أحدٌ، والجملةُ ابتداءٌ وخبرٌ تفسير له)).[6] وكذلك الحيدرة اليمنيّ

---

[1] – اللمع في العربيّة ص١٢١-١٢٢.

[2] –الكتاب ١٣٦/٢.

[3] – التبصرة والتذكرة ٢٠٦/١-٢٠٧ ، وانظر الكتاب ١٣٦/٢.

[4]– دلائل الإعجاز ١٣٢-١٣٣.

[5] – المفصّل ص١٣٣-١٣٤، وانظر تفسير الكشاف ٨١٧/٤ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٢٤/٢٠ ، وتفسير البحر المحيط ٨/ ٥٢٩، والدرّ المصون ٨/ ١٤٩، وفتح القدير للشوكاني، ص ١٦٦٧.

[6]– كشف المشكلات وإيضاح المعضلات ١٤٩١/٢بتصرُّف يسير، وانظر مغني اللبيب٥٣٨/٥ .

(ت٥٩٩هـ) صرّحَ بتسميته،مستتراً في "كان" وأخواتها، إذ قال: ((وقد تضمَّنَ كان وأخواتها ضمير الشأن والقصّة، ويسمِّيه الكوفيُّون ضميرَ المجهول، لأنّه لا يرجعُ على مذكورٍ ولابدَّ من جملةٍ تُفَسِّرُهُ إمّا فعلاً وفاعلاً، وإمّا مبتدأً وخبراً، ولا يجوز أن يكون في الجملة ضميرٌ، ومثال ذلك كلِّهِ: "كان زيدٌ قائمٌ"، فـ"زيدٌ قائمٌ" مبتدأٌ وقائمٌ خبرُهُ،وهما في موضع نصبٍ خبراً لكان،واسمها مستترٌ فيها بمعنى الشأن))[1]. وسمّاه الخوارزمي(ت٦١٧هـ) شأناً وقصّةً في قوله تعالى: ﴿قل هو اللهُ أحدٌ﴾ [الإخلاص/١]، إذ قال: ((معنى الآية: الشأن والقصّة اللهُ أحدٌ، وكذلك "ظننتُ الشأن والقصّة زيدٌ قائمٌ". فإن سألتَ لِمَ لا تكون الهاء هاهنا ضميرَ الظنِّ كما في قولك:" عبدُ الله أظنُّهُ منطلقٌ" أجبتُ: لأنَّ فعلَ القلب هاهنا مُقَدَّمٌ على المفعولين فلا يجوزُ إلغاؤُهُ، ولو جعلتَهُ ضميرَ الظّنِّ لكان الفعل ملغًى بخلاف ما إذا جعلتهُ ضميرَ الشأن، فإنَّهُ يكون أحد المفعولين هذا الضميرَ، والمفعولُ الثاني هو الجملة الابتدائيَّةُ، وكذلك" كان أنتَ خيرٌ منه"، اسم كان مستكنٌ فيها وهو ضمير الشأن والقصّة،والجملة الابتدائيّةُ،وهي:"أنتَ خيرٌ منه" خبرُ كان))[2]. وصرّح ابن مالكٍ (ت٦٧٢هـ) بتسمية هذا الضمير الذي يَسْتَعْظِمُهُ السامع بضمير الشأن عند البصريين وضمير المجهول عند الكوفيين كما سمّاه غيرُهُ من النحويين، إذ قال: ((إذا قصد المتكلّم أن يستعظم السامعُ حديثه فقبل الأخذ فيه افتتحه بالضمير المسمَّى ضمير الشأن عند البصريين وضمير المجهول عند الكوفيين، وهو بمنزلة ضمير غائب تقدّم ذكره، فلذلك استتر مرفوعاً بـ"كان أو كاد أو أحد أخواتهما"، ولا يجوز عند البصريين حذف بعض الجملة التي تفسّره،لأنّها مؤكدةٌ به، ومدلول به على فخامة مدلولها، واختصارها منافٍ لذلك فلا يجوز،كما لا يجوز ترخيم المندوب، ولا حذف حرف النداء قبله))[3]. ويبدو أنَّ ضميرَ الشأنِ والقصّةِ يرجع إلى المسؤول عنه بسؤالٍ مقدَّرٍ،كقولك:"هو الملكُ مسافرٌ"، أو"هي الملكةُ مسافرةٌ"، إذ أحدثَ سفرُهُما ضجيجاً وجَلَبَةً، فيسأل سائلٌ ما الشأنُ والقصّةُ؟ فيجيب السامع:"هو الملكُ مسافرٌ"،أي: "الشأن والقصّة الملكُ مسافرٌ". قال الرضي (ت٦٨٨هـ): ((قولهُ: "ضمير غائب" إنما لزمَ كونُهُ غائباً دون الفصل، فإنَّه يكون غائباً وحاضراً، كما تقدّمَ، لأنَّ المرادَ بالفصل هو المبتدأ، فيتبعُهُ في الغيبة والحضور، والمراد بهذا الضميرِ الشّأنُ والقصّةُ، فيلزمه الإفرادُ، والغيبة، كالمعودِ إليه، إمّا مذكّراً، وهو الأغلبُ، أو مؤنّثاً، كما يجيء، وهذا الضميرُ كأنَّه راجعٌ في الحقيقة إلى المسؤول عنه بسؤالٍ مقدَّرٍ، تقول مثلاً:" هو الأميرُ مقبلٌ"، كأنّه سَمِعَ ضوضاءَ وجلبةً، فاستبهمَ الأمر فيسأل: ما الشأنُ والقصّةُ؟ فقلتَ: "هو الأميرُ مقبلٌ"، أي: الشأنُ هذا، فلمّا كان المعود إليه الذي تضمّنه السؤالُ غيرَ ظاهرٍ قبلُ اكتفى في التفسيرِ بخبرِ هذا الضمير الذي يتعقَّبُهُ، بلا فصلٍ، لأنه معيّنٌ للمسؤول عنه، ومبيّنٌ له،

---

[1] – كشف المشكل في النحو ص٣٣٣.

[2] – التخمير ١٦٥/٢-١٦٦، وانظر شرح المفصّل لابن يعيش ١١٤/٣-١١٨،والإيضاح في شرح المفصّل ٤٧١/١-٤٧٤، وشرح المقدّمة الجزولية الكبير ٦٢٢/٢-٦٢٥، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك ٢٨-٢٩.

[3] – شرح التسهيل لابن مالك ١٦٣/١-١٦٤.

فبان لك بهذا أنَّ الجملةَ بعد الضمير لم يؤتَ بها لمجرّدِ التفسير، بل هي كسائر أخبار المبتدآت، لكن سُمِّيتْ تفسيراً، لما بيَّنَتْهُ، والقصد بهذا الإبهام، ثمَّ التفسير، تعظيمُ الأمر، وتفخيمُ الشأنِ، فعلى هذا لابدَّ أن يكونَ مضمونُ الجملةِ المفسِّرةِ شيئاً عظيماً يُعتنى به، فلا يقالُ مثلاً: " هو الذباب يطيرُ".

وقد يُخبرُ عن ضمير الأمر المستفهم عنه تقديراً بالمفرد، تقول:" هو الدهرُ حتى لا يبقى على صروفه باقية"، قال أبو الطيِّب:

هو البَيْنُ حتى ما تأَنَّى الحزائقُ[1] ويا قلبُ حتى أنت ممَّنْ أُفارقُ

كأنّه قيل: أي شيءٍ وقع من المصائب؟ فقال: "هو البينُ"، وقوله:" حتّى ما تأنَّى"،مبنيٌّ على ما يفهم من استعظام أمرِ البينِ، المستفاد من إبهام الضمير، أي ارتقى أمر البين في الصعوبة حتى لا يتأنّى جماعات الإبل أيضاً)) [2]. إذن هذا الضمير لا يستعمل إلاّ في أمرٍ عظيمٍ وخطبٍ جللٍ، لا في أمرٍ حقيرٍ دونٍ، إذ قال الجَنْدِيُّ (ت٧٠٠هـ):

((هذا الضميرُ المتقدِّمُ لا يجوزُ دخولُهُ إلاّ في كلِّ كلامٍ لهُ شأنٌ عظيمٌ، فلا يقال:" هو زيدٌ قائمٌ"، إلاَّ وأن يكونَ قيامُ زيدٍ أمراً عظيماً لا حقيراً، ومنه عزَّ مِن قائلٍ: ﴿قل هو الله أحدٌ﴾ [الإخلاص/١]. "هو" مرفوع المحلِّ على الابتداء، والخبر جملةٌ. فإنْ قلتَ: قد شرطوا في الجملة الواقعة في موضع المفرد عودَ الضمير منها إلى الاسم الأوَّلِ، فأين ذلك الضمير في هذه الجملة الواقعة خبراً لـ"هو"؟ قلت هذه الجملة في حكم المفرد في قولك:"زيدٌ أخوك في أنَّهُ هو المبتدأ في المعنى وذلك أنَّ قوله:" الله أحد" هو الشأن الذي عُبِّر عنه بـ"هو"، ولا كذلك" أبوه ذاهبٌ"في "زيدٌ أبوهُ ذاهبٌ"، فهذه الجملةُ على كلامين يدلان على معنيين مختلفين، فلا بدَّ من رابطٍ يربط أحدهما بالآخر)) [3].

وأنكرَ ضميرَ الشأنِ والقصّةِ ابنُ الطراوةِ(ت٥٢٨هـ)، وزعم أنّه حرفٌ، والسماع والقياسُ يمنعانِهِ، إذ قال: ((أمّا القياس فإنَّ الهاء في قوله:"إنَّه أمةُ اللهِ ذاهبةٌ" حرفٌ كفَّ"إنَّ" عن العمل كما كفّتها"ما" في"إنَّما زيدٌ قائمٌ". وأمّا"كان وليس وإنَّ" التي لا هاء معها نحو:

إنَّ مَنْ يدخلِ الكنيسةَ يوماً يَلْقَ فيها جآذراً وظباءَ

ونحو:"كان زيدٌ منطلقٌ، وليس عمروٌ ضاحكٌ"، ونحوُها من نواسخ الابتداء، فهي حال دخولها على الجمل التي لم تعملْ فيها ملغاة كـ "ظننتُ"، وثبتَ أنَّ "ظَنَنْتُ" تلغيها العربُ، وعمل" كان وليس وإنَّ" فرعٌ،

---

[1] – الحزائق : الجماعات، واحدها: حزيقة، وتأنَّى : تمهّلَ وترفّقَ. والمعنى أنّ الأحبّة فارقوني، فذهب قلبي معهم، ففارقني وفارقته.

[2] – شرح الرضي لكافية ابن الحاجب ١/١٧٨– ١٧٩، وانظر خزانة الأدب ٥/٤٠٢–٤٠٣.

[3] – الإقليد في شرح المفصّل ٢/٨٢٩–٨٣٠ ، وانظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل٢/٢٧٢–٢٧٤، وارتشاف الضرب من لسان العرب١/٤٨٥–٤٨٧.

إذ عملها بالتشْبيه بالأفعال التي عَمَلُها أصلٌ كعمل"ظننتُ"، فالقياسُ يقتضي أنْ تُحْمَلَ "كان وليس وإنَّ" مَحْمَلَ" ظننتُ" فتكون ملغاةً.

وأمّا السماعُ فإنّ العربَ لم تذكرْ قطُّ الأمرَ بهذا اللفظِ في هذا المعْرِضِ ولا الشأن، فلمّا لم يُقَلْ قطُّ: "كان الأمرُ زيدٌ قائمٌ"، ولا:" إنَّ الشأنَ زيدٌ ضاحكٌ"، بطل دعواهم.

فإن قالوا: قد ثبتَ ضميرُ الأمرِ والشأنِ في قولهِ تعالى: ﴿ قل هو اللهُ أحدٌ﴾ [الإخلاص/١] على تقدير"الأمرُ اللهُ أحدٌ"، فليس كذلك، فإنّما هو هناك بمعنى:"المعبود الله، أو المصْمَدُ إليهِ"، ونحوه.

قال: ثُمَّ إنَّهم يتناقضون، فإنّهم يجعلون الجملةَ من المبتدأ والخبرِ خبراً عن الناسخِ في نحوِ: "إنَّه زيدٌ قادمٌ، وكانَ عمروٌ ضاحكٌ"، واسمُ الناسخِ الذي هو ضميرُ الأمرِ تفسيرهُ الخبرُ، ومن شرط الخبرِ أن يكون مجهولاً، ومن شرطِ المفسِّرِ أن يكون معلوماً، فهم قد جعلوا الشيءَ الواحد معلوماً مجهولاً)) [(١)].

ودحضَ زَعْمَ ابنِ الطراوة في إنكارهِ ضميرَ الأمرِ والشأنِ الأستاذُ أبوعليٍّ الشلوبين (ت ٦٥٤هـ)، إذ قال: ((أخطأ ابنُ الطراوةِ في إنكاره ضمير الأمرِ والشأنِ: أمّا أنَّ الهاءَ كافّةٌ ففاسدٌ لأنّها لم تثبتْ حرفاً إلاّ ضميراً، فإخراجُها عمّا استقرَّ لها من الاسميّة فاسدٌ، وإنّما ادّعينا في ما"إنَّما"أنّها كافةٌ لثبوت حرفيّتها، ولم نجدْ بُدّاً من ذلك، وأمّا إلغاء" كان وليس" إذ لم يظهرْ لهما عملٌ فباطلٌ، إذ لم يثبُتْ ذلك فيهما،ثمَّ لم يثبتْ إلغاء فعلٍ معَ تقدُّمِهِ، وإنّما ألغيتْ "ظنَنْتُ" متوسّطةً أو متأخّرةً على ضَعْفٍ.

وأمّا أنَّ العربَ لم تُصرِّحْ بالأمرِ والشأنِ في هذا العرضِ فقول مَنْ لم يفهم من النحويين، لأنّهم لم يقولوا ضميرَ الأمر والشأنِ على أنَّ ذلك هو المحذوف، إنّما هو تحويمٌ منهم على المعنى بتقريبٍ.

وأمّا أنَّ الخبرَ يكون مجهولاً فلم يُفْهِمْ ما مُرادُهم بمجهول، فإنّه لا يَصِحُّ أنْ يُخْبَرَ إلاّ بما يُفْهِمُ معناهُ، إذ لا يُخْبِرُ أحدٌ عن معلومٍ بلفظةٍ أعجميَّةٍ لا يُعْقَلُ معناها، وإنّما المجهول الذي يُريدُ النحويّون نسبةُ الخبرِ إلى المخْبَرِ عنه، فبكونهِ معلوماً يَصِحُّ أنْ يكونَ مُفَسِّراً، وبكونه مجهولَ النسبةِ يَصِحُّ أن يكونَ خبراً. ثمَّ إنّه لو لم يكنْ في قوله إلاَّ مخالفةٌ لجميع النحويين من الخليل وسيبويه إلى مَنْ بَعْدَهم من بَصْرِيٍّ وكُوفِيٍّ لكان خليقاً بالرفض والطرْحِ)) [(٢)].

وجوَّزَ أبو حيّانَ الأندلسيُّ(ت٧٤٥هـ) في ضمير الشأن تذكيرَهُ وتأنيثَهُ مع المذكّر أو المؤنّثِ الذي يأتي بعدهُ، فالأمر لديه سواءٌ، إذ قال: ((وذكرَ أصحابُنا أنَّ هذا الضميرَ يكون مذكّراً ومؤنّثاً سواءٌ أكان بعدَهُ مذكّرٌ أم مؤنّثٌ، نحو: " هو زيدٌ قائمٌ، وهو هندٌ قائمةٌ، وهي هندٌ قائمةٌ، وهي زيدٌ قائمٌ، وهي هندٌ ذاهبةٌ"، وإنْ كان المستحسن التذكيرُ مع التذكيرِ والتأنيثُ مع التأنيثِ، هذا مذهبُ أهل البَصرةِ، وذهب الكوفيّون إلى

(١) – انظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل٢/٢٧١-٢٧٢، والبسيط في شرح الجمل لابن أبي الربيع ٢/٧٥٥-٧٥٩.

(٢) – انظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل ٢/٢٧٢- ٢٧٣.

أنَّ المخبَر عنه إن كان مذكَّراً، فالضميرُ مذكّرٌ، وإن كان مؤنَّثاً فالضميرُ مؤنّثٌ، فتقول:" كان زيدٌ قائمٌ"، وكانت هندٌ قائمةٌ " للمشاكلة، ولا يجوز عندهم:" كانتْ زيدٌ قائمٌ، ولا كان هندٌ قائمةٌ"))[1]. وسمّاه ابنُ عقيل (ت٧٦٩هـ) كما سمّاه غيرُهُ من النحويين المتقدّمين، إذ قال: ((أو كان المسمَّى ضمير الشأن عند البصريين، نحو:" هو زيدٌ قائمٌ"، ويسمَّونُهُ ضميرَ الشأنِ إذا كان مذكّراً كهذا المثال، وضميرَ القصّةِ إذا كان مؤنّثاً، نحو:"هي هندٌ قائمةٌ"، وضميرَ المجهول عند الكوفيين وسمَّوه مجهولاً لأنَّه لا يُدْرَى عندهم ما يعود عليه)) [2].وقال في شرحه على ألفيّة ابن مالك في هذا الباب:

ومُضْمَرَ الشأنِ اسماً انوِ إنْ وقعْ مُوهِمُ ما استبانَ أنّهُ امْتَنَعْ

((يعني أنّهُ إذا ورَدَ من لسان العرب ما ظاهره أنّهُ وليَ"كان" وأخواتِها معمولُ خبرِها فأوِّلْهُ على أنَّ في "كان" ضميراً مستتراً هو ضمير الشأن، وذلك نحو قوله:

فَنافِذُ هَدَّاجونَ حَوْلَ بيوتِهِمْ بما كانَ إيّاهُمْ عطيّةُ عوَّدا

فهذا ظاهرُهُ أنّهُ مثلُ:" كان طعامَكَ زيدٌ آكلاً"، ويتخرَّجُ على أنَّ في"كان" ضميراً مستتراً هو ضمير الشأن، وهو اسم كان)) [3].أي: بما كان عطيَّةُ عوَّدَهم، أراد:"كان الشأنُ عطيَّةُ عوَّدَ أولادَه"،فـ" عطيَّةُ" مبتدأ، وخبره "عوَّد أولادَه"، والجملة من المبتدأ والخبر في محل نصب خبر كان. وخُرِّجَ البيتُ على زيادة "كان"[4].

وذكر الدماميني (ت ٨٢٧هـ) أربعةَ أسماءٍ لضميرِ الشأنِ عند البصريين، واسماً واحداً عند الكوفيين، إذ قال: ((ويسمُّونَهُ ضميرَ الشأنِ وضميرَ القصّةِ، قال ابن الخباز(ت٦٣٩هـ): وضمير الأمرِ وضمير الحديثِ. فهذه أربعةُ أسماءٍ بَصْرِيَّةٍ، وضمير المجهول عند الكوفيين، لأنَّه لا يُدرى عندهم على ماذا يعود، وتسميةُ البصريين أولى، لأنّهم سمَّوه بمعناه، والكوفيّون إنّما سمّوه باعتبار وصفه، وإنّما ألزم كونُهُ ضميرَ غيبةٍ دون الفصل، فإنَّهُ يكون غائباً وحاضراً كما يأتي، لأنَّ المراد بالفصل هو المبتدأ فيتبعه في الغيبة والحضور. والمرد بهذا الضمير الشأن أو ما هو بمعناه كما مرَّ)) [5].

---

[1] – ارتشاف الضرب من لسان العرب ١/ ٤٨٦-٤٨٧،وانظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل٢/٢٧٨، – تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ١٢٤/٢ وهمع الهوامع٢٣٤/١.

[2] – المساعد على تسهيل الفوائد ١١٤/١-١١٥.

[3] – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٨٠/١-٢٨٣، وانظر أوضح المساك على ألفية ابن مالك ٢٤٨/١و ٢٥١، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٣٠٤/١-٣٠٥، وشرح ألفيّة ابن مالك للمكناسي ٣٢٠/١-٣٢١.

[4] – انظر شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ٣٥١/١، و أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٢٥١/١، و شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ٢٨٠/١-٢٨٣،وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ٢٣٨/١ .

[5] – تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ١٢٠/٢،وانظرشرح المفصّل لابن يعيش ١١٤/٣، و النحو الوافي٢٢٦/١، والموفي في النحو الكوفي ص٩٥-٩٦، والمصطلح النحوي للدكتور عوض القوزي ص ١٨٠ .

ومن خلال ما جاء به النحويّون المتقدّمون والمتأخّرون عن ضمير الشأن والقصّةِ لم يختلفوا في جوهره ما عدا ابن الطراوة، وإن تغيّرتْ تسميتُهُ بعضَ الشيءِ عند بعضهم كما ذكرنا. قال ابنُ أبي الربيع(ت٦٨٨هـ): ((هذا الذي ذكرته من ضمير الأمر والشأن لا أعلم بين النحويين المتقدّمين فيه خلافاً، وجاء ابن الطراوة وقال:ضمير الأمر والشأن لا منقول ولامعقول)) [١]. وأنَّ كلَّ ضميرٍ ذكرَهُ أصحابُ اللغةِ والنحوِ والتفسيرِ في هذا المقامِ يُسمَّى ضميرَ الشأنِ، أو القصَّةِ، أو الأمرِ، أو الحديثِ عند البصريين، أو المجهولِ، أو العمادِ عند الكوفيين[٢].

وخَلَصْتُ إلى ما قيل في بيان هذا الضميرِ: ((أنَّ العرب الفصحاء، ومَن يُحاكيهم اليوم، إذا أرادوا أنْ يذكروا جملةً اسميّةً، أو فعليَّةً، تشتملُ على معنىً هامٍّ، أو غرضٍ فَخْمٍ، يستحقُّ توجيهَ الأسماعِ والنفوسِ إليه، لم يذكروها مباشرةً، خاليةً مما يدلُّ على تلك الأهمية والمكانةِ، وإنَّما يقدِّمون لها بضميرٍ يسبقُها، ليكونَ الضميرُ- بما فيه من إبهام وتركيز، وبخاصةٍ إذا لم يسبقْه مرجعُهُ- مثيراً للشوق، والتطلع إلى ما يزيلُ إبهامهُ، باعثاً للرغبة فيما يبسط تركيزه، فتجيء الجملةُ بعدَهُ، والنفسُ متشوّقةٌ لها، مقبلةٌ عليها، في حرصٍ ورغبةٍ.

فتقديم الضميرِ ليس إلا تمهيداً لهذه الجملة الهامة. لكنَّه يتضمَّن معناها تماماً، ومدلوله هو مدلولها، فهو بمثابة رمز لها، ولمحة أو إشارة موجّهة إليها))[٣].

ومثَّلَ "عباس حسن" تمثيلاً جميلاً واضحاً لا لبس فيه عن ضميرِ الشأن إذ قال: ((تحدّث فريقٌ من الأصدقاء عن غنيٍّ افتقرَ، فيقولُ أحدُهم: وارحمتاه لم يبقَ من ماله شيءٌ، ويقول الثاني: حسبُهُ أنْ أنفقَهُ في طريق الخيرِ. ويقول الثالث: مَنْ كان يظنُّ أنَّ هذه القناطيرَ تَنْفَدُ من غير أن يدَّخِرَ منها شيئاً يصونه من ذلِّ الفاقةِ، وجحيم البؤسِ؟ ويقول الرابع مُتأوِّهاً:يا أصدقائي،" هو الزمانُ غدّارٌ، وهي الأيامُ خائنةٌ".

فالغرضُ الذي يرمي إليه الرابعُ من كلامه: بيان غدر الزمان، وخيانة الأيام، أو تقلُّب الزمان. وهو غرضٌ هامٌّ، وقد أرادَ أن يدلَّ على أهمّيَّته، ويوجِّهَ النفسَ إليه، فمهَّد بالضمير"هو وهي " من غير أن يسبقَهُ شيءٌ يصلح مرجعاً، فيثير الضمير بإبهامه هذا، وغموضه، شوقَ النفس إلى ما يجيء بعده. ولن يُزيلَ غموضَ الضمير ويوضِّح المراد منه إلاَّ الجملة التي بعدَهُ، فهي التي تفسِّرُهُ وتجليه))[٤].

بعد أنْ وقفتُ على ضروب ضميرِ الشأن ومعناها، لابدَّ من الوقوف على صفاته التي يمتاز بها على سائر الضمائر الأخرى، حتى يغدوَ أكثرَ وضوحاً وجلاءً.

---

[١] – البسيط في شرح جمل الزجاجي ٧٥٥/٢.

[٢] – سُمّيَ ضمير الشأن، لأنّه يرمز إلى الشأن، أي: للحال المراد الكلام عليها، وضمير القصّة، لأنّه يشير إلى القصّة، أي: المسألة التي سيتناولُها الكلام ، وضميرَ الأمر، وضمير الحديث، لأنّه يرمزُ إلى الأمر المهم الذي يجيء بعده، والذي هو موضوع الكلام والحديث المتأخر عنه، وضمير المجهول، لأنّه لم يتقدّمه مرجع يعود إليه. انظر النحو الوافي ٢٢٨/١.

[٣] – انظر النحو الوافي ١/ ٢٢٦ بتصرُّفٍ ، ودلائل الإعجاز ص ١٣٢_١٣٣.

[٤]– النحو الوافي ١/ ٢٢٧، بتصرُّفٍ يسيرٍ .

ثانياً: صفاتُهُ: يمتاز ضميرُ الشأنِ على سائرِ الضمائرِ بصفاتٍ، تَخْلو الضمائرُ الأخرى منها، وهي:

أن يقعَ هذا الضميرُ مبتدأً، أو اسماً لـ"كان أو إنَّ" وأخواتِهما، أو لـ"علمتُ وظننتُ" وبابيْهما، كقول الشاعر:

عَلَّمْتُهُ الحقُّ لا يخفى على أحدٍ فكنْ مُحِقّاً تنلْ ما شئتَ مِنْ ظَفَرِ

فالهاء في "عَلَّمْتُهُ" ضميرُ الشأنِ، وهو المفعولُ الأوَّلُ، وجملةُ "الحقُّ لا يخفى على أحدٍ" المفعولُ الثاني لـ"عَلَّمْتُهُ"، وهي مفسِّرةٌ لذلك المضمر.(١)

أن تأتيَ بعدَ ضميرِ الشأنِ جملةٌ تُفَسِّرُهُ، وتوضِّحَ مدلولَهُ، وتقعَ خبراً له،إذا كان مبتدأً،أو اسماً لـ"إنَّ" أو"كان"وأخواتِهما. كقول الفرزدق:

عَشِيَّة ما ودَّ ابنُ غرّاءَ أنَّها لها من سِوانا إذْ دعا أبوانِ

ففسر بقوله:" لها أبوان"، وكذلك فُسِّرَ هذا الضميرُ الذي هو أمرٌ وحديثٌ، بما هو حديثٌ وأمرٌ في الابتداء وما دخل عليه.(٢) أو خبراً لـ"كاد" كقوله تعالى: ﴿من بعدِ ما كادَ يَزِيغُ قلوبُ فريقٍ منهم﴾ [التوبة/١١٧]، ومذهب سيبويه(٣)، أنَّ في"كاد" ضميرَ الأمرِ والشأنِ، لأنَّ" كاد" فعلٌ، و"يزيغ" فعلٌ، ولا يعملُ الفعلُ في الفعلِ، وفُسِّرَ الضميرُ في"كاد" بالجملة من الفعل والفاعل(٤)

وتقعُ هذه الجملةُ المفسِّرةُ مفعولاً به ثانياً أيضاً لـ"علمتُ وظَنَنْتُ". ولابدَّ من التصريح بجزأيها، ولا يجوز تفسيرُهُ بمفردٍ، بخلاف غيره من الضمائر، ولا يصحُّ حذفُ أحدِ طرفي الجملة،أو تقديره عند جمهور البصريين(٥).

أن تأتيَ الجملةُ المفسِّرةُ له متأخِّرةً عنهُ وجوباً، ومرجعه يعود على مضمونها، ولا يجوز تقديمُ هذه الجملةِ كلِّها، أو جزءٍ منها عليه، لأنَّ المفَسِّر لا يأتي قبل المفَسَّر. وخطَّأَ ابنُ هشام (ت٧٦١هـ) ابنَ السيرافي ((في قول الفرزدق:

أسَكْرانُ كانَ ابنُ المراغةِ إذ هجا تميماً بجوِّ الشَّامِ أم متساكرُ

---

(١) – المسائل الحلبيَّات ص ٢٤٧، وانظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل٢/٢٧٩، وشرح التسهيل ١/١٦٦،ومغني اللبيب ٥/٥٤١، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ٢/١٢٤،والمساعد على تسهيل الفوائد١/١١٧، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني١/٢٣٨،والنحو الوافي ١/٢٢٨ .

(٢) – انظر المسائل الحلبيَّات ص٢٤٨.

(٣) – الكتاب ١/٧١، وانظر شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي١/٣٥٢ .

(٤) – المسائل الحلبيَّات ص ٢٥٠ وانظر شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي١/٣٥٢، .

(٥) – انظر المسائل الحلبيَّات ص ٢٤٧–٢٥٠، وانظر التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل٢/٢٧٤، وشرح التسهيل ١/١٦٣،ومغني اللبيب ٥/٥٤٠، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد ٢/١٢١،والمساعد على تسهيل الفوائد١/١١٥، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني١/٢٣٨،والنحو الوافي ١/٢٢٩.

فيمن رفع "سكرانُ" و"ابنُ المراغةِ": إنَّ"كان" شأنيَّة، و"ابنُ المراغةِ سكرانُ": مبتدأ وخبر، والجملةُ: خبر"كان"[١]. والصواب أنَّ "كان" زائدةٌ. والأشهرُ في إنشادِهِ نصب"سكران"[٢]، ورفع" ابنُ المراغة"، فارتفاع" متساكرُ" على أنّه خبرٌ لـ"هو" محذوفاً))[٣].

أي: رفعهُ على القطعِ بجعله خبرَ مبتدأٍ محذوفٍ، تقديرُهُ: "أم هو متساكرُ"، فجاءت "أم" منقطعةً[٤].

أنْ يأتيَ ضميرُ الشأنِ للمفردِ ليس غيرُ،أي: لا يأتي هذا الضميرُ للمثنى أو للجمع. ويكثر فيه المفرد المذكر، مراداً به الشأن، أو الحال،أو الأمر. ويجوز أن يأتيَ بلفظ المفردة المؤنَّثة،مُراداً به القصة،أو المسألة، وخاصَّة إذا جاء في الجملة بعد الضمير مؤنَّثٌ عمدةٌ، كقوله تعالى: ﴿فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا﴾ [الأنبياء/٩٧]، وقوله تعالى: ﴿فإنَّها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوبُ التي في الصدور﴾ [الحج/٤٦]، ونحو:" هي الأعمال بالنيَّات، وهي الأمُ مدرسةٌ"[٥]

٥-أنّه لا يُتْبَعُ ضميرُ الشأن بتابع، فلا يؤكَّدُ، ولا يعطفُ عليه، ولا يبدلُ منه، أمَّا النعتُ فهو فيه كغيره من أنواع الضمائر، لا يأتي لها نعتٌ، ولا تأتي الضمائر نعتاً لغيرها.[٦]

٦_أنْ يأتيَ ضميرُ الشأن منصوباً، إذا وقع مفعولاً به لفعلٍ ناسخ ينصب مفعولين أصلُهُما مبتدأٌ وخبرٌ، فيجبُ إبرازُهُ واتصاله بعامله، نحو:" حسبتُهُ الطالبُ ناجحٌ، وخلْتُهُا هندٌ مسافرةٌ، وظنَنْتُهُ جاءَ ذو عِلْمٍ"، فالهاء في هذه الأفعال هي ضمير الشأنِ والقصَّةِ، وهي في محلِّ نصبٍ لأنَّها المفعولُ الأوَّلُ لـ"ظننْتُ" وأخواتها، والجملة بعدها في محلِّ نصبٍ، لأنَّها مفعولٌ به ثانٍ.

أمَّا إذا جاء ضمير الشأن مرفوعاً متَّصلاً فإنَّه يستترُ في الفعل، ويستكن فيه، نحو:" ليس خلقَ اللهُ مثلَهُ". ففي "ليس" ضمير مستترٌ، لأنَّ" ليس وخلقَ" فعلان، والفعلُ لا يعملُ في الفعلِ مباشرة.إذن لابدَّ من اسم يرتفع بـ"ليس" لذى كان فيها الضميرُ المستترُ، ومثْلُهُ: "كانَ عُمَرُ عادلٌ، وكان المسيحُ كليمُ اللهِ،وكانتْ هندُ فُضْلى زميلاتِها"[٧]. ففي "كان" ضميرُ الشأنِ والقصَّةِ مستترٌ، تقديرُهُ"هو أوهي"،أي: "كان الحال والشأن والقصَّةُ". ويعرب اسماً لـ"كان"، والجملة بعدها خبرٌ، ومفسِّرة له،ومنه قول الشاعر:

---

[١] – انظر ارتشاف الضرب من لسان العرب ١/٤٨٥-٤٨٦.

[٢] – انظر الكتاب ١/٤٩، والخصائص ٢/ ٣٧٥ وشرح أبيات مغني اللبيب ٧/٧٠. قال ابن جنّي: (ألا ترى أنَّ تقديره: أكان سكرانُ ابنَ المراغةِ، فلمّا حذف الفعل الرافع فسَّره بالثاني فقال: كان ابنَ المراغة. و"ابنَ المراغة" هذا الظاهر خبر كان الظاهرة، وخبر كان المضمرة محذوف معها، لأنَّ"كان" الثانية دلّت على الأولى) الخصائص ٢/٣٧٥.

[٣] – مغني اللبيب ٥/٥٣٩-٥٤٠، وانظر المساعد على تسهيل الفوائد١/١١٨، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني١/٢٣٨، وشرح أبيات مغني اللبيب ٧/ ٦٩-٧٠ والنحو الوافي ١/٢٢٩.

[٤] – انظر شرح أبيات مغني اللبيب ٧/٧٠.

[٥] – مغني اللبيب ٥/٥٤١-٥٤٢، وانظر المساعد على تسهيل الفوائد١/١١٥- ١١٦، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني١/٢٣٨،والنحو الوافي ١/٢٢٩.

[٦] – مغني اللبيب ٥/٥٤١، وانظر المساعد على تسهيل الفوائد١/١١٥- ١١٦، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني١/٢٣٨،والنحو الوافي ١/٢٢٩.

[٧] – أي: كانت هند أفضلُ زميلاتها، فـ"فُضْلى" خبر لـ"هندٍ"، والجملة من المبتأ والخبر في محل نصب خبر" كان".

إذا مُتُّ كان الناسُ نِصْفانِ شامتٌ وآخَرُ مُثْنٍ بالذي كنتُ أصْنَعُ

وقول الآخر:

هي الشفاءُ لدائي لو ظَفِرْتُ بها وليسَ منها شفاءُ الداءِ مبذولُ

ففي" كان وليس" ضمير الشأن، تقديرهُ"هو"، والجملةُ بعدَهُ مفسِّرةٌ لهُ[1]. بعد أن وقفنا على صفات ضمير الشأن لابدَّ من الوقوف على طبيعته.

ثالثاً: طبيعته :

يختصُّ ضميرُ الشأنِ بطبيعةٍ خاصَّةٍ تميِّزُهُ عن سائر الضمائر، إذ يلزم إفرادُهُ، لأنَّهُ عائدٌ إلى مفردٍ، وهو الشأنُ أو الحديثُ أو الأمرُ، نحو:" إنَّهُ أخواك منطلقان، وإنّها جاريتاكَ حسنتان، وإنَّهُ إخوتُكَ صالحون". ويلزمُ تذكيرُهُ ما لم يأتِ بعدَهُ مؤنّثٌ،كقوله تعالى: ﴿فإذا هي شاخصةٌ أبصارُ الذين كفروا﴾ [الأنبياء/٩٧] أو مذكَّرٌ شُبِّهَ به مؤنَّثٌ،نحو:" إنَّها قمرٌ جاريتُكَ"، أو فعلٌ فيه علامةُ تأنيثٍ فيرجَّحُ تأنيثُهُ مراعاةً للقصَّة، كقوله تعالى: ﴿ فإنَّها لا تعمى الأبصارُ﴾[الحج/٤٦]، وقول الشاعر:

على أنَّها تعفو الكلومُ وإنَّما نُوَكَّلُ بالأدنى وإنْ جَلَّ ما يمضي

الشاهد في:"تعمى وتعفو"إذ التأنيثُ فيه أجودُ من التذكيرِ،لأنَّ مع التأنيثِ مشاكلةَ تحسينِ اللفظِ،مع العلمِ أنَّ المعنى لا يختلفُ، إذ القصّةُ والشأنُ بمعنىً واحدٍ، والتذكيرُ مع ذلك جائزٌ، كما قال أبو طالبٍ:

وإنْ لا يكنْ لحمٌ غريضٌ فإنَّهُ تُكَبُّ على أفوهِهن الغرائرُ

إذ ذُكِّرَ ضميرُ الشأن"فإنَّه"، ووليَهُ فعلُ"تُكَبُّ" بعلامة تأنيث.[2]

هذا ما خَلَصْتُ إليه من ضمير الشأنِ والقصّةِ في العربيَّةِ الذي أنكرَهُ ابنُ الطراوةِ، وزعمَ أنّه حرفٌ، والسماعُ والقياسُ يمنعانِهِ[3]، وقد تأثَّرَ به بعضُ المحدثين ك الدكتور محمد عبدالله جبر في كتابه" الضمائرُ في اللغة العربيَّة"،إذ قال ((ولست أقبل ما نقلَهُ السيوطي من أنّه" لا خلافَ في أنّه اسمٌ يحكمُ على موضعه بالإعراب على حسب العامل" وأنّي أرتضي ما ذهبَ إليه ابنُ الطراوةِ ومالَ أبو حيَّانَ إلى موافقتِهِ من أنَّه حرفٌ" إذا دخلَ على "إنَّ" كفَّها عن العمل كما تكفُّها" ما" وكذا إذا دخلَ على الأفعال الناسخةِ كفَّها

---

[1] – انظر النحو الوافي١/٢٣٠.

[2] – انظر شرح التسهيل لابن مالك١/١٦٤-١٦٥، والمساعد على تسهيل الفوائد١/١١٦، وتعليق الفرائد على تسهيل الفوائد٢/١٢٣-١٢٤. واللحم الغريض: الطريُّ، والغرارة واحدة الغرائر، وهي الجُوالق.

[3] -- انظر التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل٢/٢٧١-٢٧٢، والبسيط في شرح الجمل لابن أبي الربيع ٢/٧٥٥-٧٥٩.

وتلغى كما تلغى في باب ظنَّ))[1]. وذهب الدكتور فوزي الشايب إلى أنَّ ضميرَ الشأنِ أو القصّةِ لا علاقةَ له بالشأنِ أو القصّةِ من قريبٍ أو بعيدٍ، إذ قال: ((إنَّ هذا الضميرَ هو ضميرُ غيبةٍ عاديٌّ، ولا علاقةَ له بالشأنِ ولا القصَّةِ من قريبٍ أو بعيدٍ، إنَّه مجرَّدُ ضمير غيبة يعود على اسمٍ لاحقٍ))[2].لكنَّ المستشرق الألماني (برجشتراسر) خالف المتأخرين والمحدثين الذين زعموا أنَّ ضميرَ الشأن أو القصَّة حرفٌ إذا دخل على "إنَّ" وأخواتها كفَّها عن العمل كما تكفُّها"ما"، أو على الأفعال الناسخة ألغى عملها،إذ قال:

((ومن خصائص العربية أنَّ مبتدأَ الجملةِ الاسميّةِ المركبةِ، ربَّما كان ضميراً للغائب، لا علاقةَ له بالجملة الخبريّة، ولا راجع إليه فيها، وهذا ما سمّاهُ النحويّون ضميرَ الشأن، نحو: ﴿إنَّه لا يفلحُ الظالمون﴾ [الأنعام/٢١]. وأكثر ذلك بعد"إنَّ أو أنَّ"، وفائدة هذا التركيب، أنَّه يمكِّنُ الناطقَ من إدخالِ"إنَّ وأنَّ" على الجمل الفعليّة ،نحو: "لا يفلح الظالمون". فهذا مما يشهد بميزة العربيّة شهادةً مبينةً، فغيرها من اللغات الساميّة قد يقدِّم أمثال "إنَّ" على الجمل الفعليّة، وإن كان موضعها الأصلي أوَّلَ الجمل الإسمية فقط. وهي مع ذلك اخترعت وسيلةً، لقلب الجملة الفعلية اسميةً، من غير تغيير تركيبها))[3].والضميرُ مع"إنَّ" أو إحدى أخواتها ترى فيه حُسْناً وجمالاً أكثرُ مما لو كان خِلْواً منها، قال عبد القاهر: ((ومن خصائص "أنَّ" أنَّك ترى لضمير الأمر والشأنِ معها من الحُسْنِ واللُّطْفِ ما لا تراه إذا هي لم تدخل عليه، بل تراه لا يَصْلُحُ حيث صَلَحَ إلاَّ بها، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿إنَّهُ من يتَّقِ ويصْبِرْ فإنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجرَ المحسنين﴾ [يوسف/٩]، وقوله: ﴿أنَّهُ مَن يُحادِدِ اللهَ ورسولَهُ فأنَّ له نارَ جهنَّمَ﴾ [التوبة/٦٣]، وقولُهُ: ﴿إنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافرون﴾ [المؤمنون/١١٧]))[3] .

من خلال ما تقدّم يتبيّن أنّ الذين نادوا بحرفيّة هذا الضمير جانبوا الصوابَ كثيراً في دعواهم لأنّ اسميّةَ الهاء ظاهرةٌ في ضميرِ الشأنِ لا سبيل إلى إنكارها. وبهذا الضمير يمكن قلبُ الجملةِ الفعليّةِ اسميَّةً، وهي ميزة امتازت بها العربيَّة على سائر أخواتها من اللغات الشرقيَّة.

ولابدَّ من الوقوف على ضمير الشأن في العبريَّة، وعلى صفاته وطبيعته، مقارنينَهُ بضمير الشأن في العربيّة، حتّى يغدوَ الأمرُ واضحاً بينهما لا لبسَ فيه.

- **ضميرُ الشأن في العبريَّة:**

---

[1] – الضمائر في اللغة العربيّة ص ١٤٤-١٤٧.

[2] – ضمير الشأن والفصل دراسة ومقارنة لسانية ص٢٦.

[3] – التطور النحوي للغة العربيّة ص١٣٩ بتصرُّف يسير.

[3]– دلائل الإعجاز ص ٣١٧ بتصرُّفٍ يسيرٍ.

أمَّا ضميرُ الشأنِ في العبريَّة فقد وردَ في سفر التكوين، وأسفار أخرى في التوراة، وكتب العبادات، وبعض المعجمات، وبعض الأشعار، ولم تذكُرْهُ مظانُّ النحوِ العبريَّةُ، إذ ورد في الإصحاح التاسع عشر قول الإله لموسى عليه السلام:" **אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם أنا اللهُ إلهُكُم**" ف" أنا" ضمير الشأن في محلٍّ رفع مبتدأٍ، وجملة "**الله إلهكم**" **مؤلَّفةٌ من** مبتدأٍ وخبرٍ في محل رفع خبر لـ"أنا"، وهي مفسِّرةٌ لضمير الشأن "أنا" ،وأتتْ بعده، ولم يُستعْملْ هذا الضميرُ إلا في شيء عظيم، كما في العربيَّة.

{וַיְדַבֵּר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה: דַּבֵּר אֶל כָּל עֲדַת בְּנֵי יִשְׂרָאֵל וְאָמַרְתָּ אֲלֵהֶם קְדֹשִׁים תִּהְיוּ כִּי קָדוֹשׁ אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם}[1]. وقال يهوه لموسى: تحَّدث لكل جماعة بني إسرائيل وقل لهم ستكونون قدسيين لأنني قدوس، **أنا يهوه إلهكم**.

وقد ورد في الإصحاح التاسع قولُ الإله: " **כִּי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ أنَّ اللهُ إلهُكَ**" ف ضمير الشأن المحذوف في محلِّ نصب اسم "أنَّ" وجملة :" اللهُ إلهُكَ" جملةٌ تفسيريَّةٌ في محلِّ رفع خبر "أنَّ"، والتقدير: " **أنَّهُ اللهُ إلهُكَ**"، ومرجع الضمير في هذه الجملة، وفي غيرها يعود على مضمونها، وقد اسْتُعْمِلَ هذا الضمير في أمرٍ جللٍ، ولم يُسْتعمَلْ في أمرٍ حقيرٍ.

{וְיָדַעְתָּ הַיּוֹם כִּי יְהוָה אֱלֹהֶיךָ הוּא הָעֹבֵר לְפָנֶיךָ}[2] وعرفتَ اليوم **أنَّ يهوه إلهكَ** هو الذي يعبر أمامكَ.

وجاء في الإصحاح الحادي والخمسين (إشعيا) قول الربِّ: " **אָנֹכִי אָנֹכִי הוּא מְנַחֲמְכֶם أنا أنا هو معزِّيكم**" ف "أنا" ضمير الشأنِ في محلِّ رفعٍ مبتدأٍ، و" **هو معزِّيكم**" جملة تفسيريّةٌ مؤلَفةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ في محل رفع خبر لـ"أنا"، و جاء ضمير الشأن في هذه الجملة، وفي غيرها من الجمل التي وقفت عليها للمفرد لاغير، إذ قال:"أنا"، وأنا ضمير المتكلِّم.

{אָנֹכִי אָנֹכִי הוּא מְנַחֲמְכֶם}[3] **أنا أنا هو مُعزِّيكم**.

وورد في قاموس ابن شوشان:" **אַתָּה הוּא מַלְכִּי أنت هو ملكي**" ف "أنتَ" ضمير الشأنِ منفصل في محل رفع مبتدأ، وجملة: "**هو ملكي**" مؤلَّفةٌ من مبتدأ وخبرٍ، وهي جملةٌ تفسيريَّةٌ في محل رفع خبر لـ"أنت"، ولم يُتْبع ضمير الشأن في هذه الجملة وفي غيرها بتابعٍ، وجاء ضمير المخاطب" أنت" مفرداً".

---

[1] – ספר (תורה נביאים וכתובים), Printed in Sweden 1971, CAP. XIX, וַיִּקְרָא, יט, ע"\195\, لاويين، الإصحاح التاسع عشر... لاوي: לֵוִי: אִישׁ מִשְׁפָּט לֵוִי

[2]– ספר (תורה נביאים וכתובים), Printed in Sweden 1971, CAP. IX, דְּבָרִים, ט, ע"\304\, تثنية، الإصحاح التاسع...

[3] – ספר (תורה נביאים וכתובים), Printed in Sweden 1971, CAP. I,I, יְשַׁעְיָה, נא, ע"\722\, إشعيا، الإصحاح الحادي والخمسون...

{אַתָּה הוּא מַלְכִּי}[1] **أنتَ هو ملكي.**

وجاء في الإصحاح الثامن عشر قول الرَّبِّ : " **אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם** " **أنا الربُّ إلهُكُم**"، فالياء ضمير الشأن للمتكلِّم:في محلَّ نصب اسم" أنَّ"، وجملة :" **أنا الربُّ إلهكم**" جملةٌ تفسيريَّةٌ مؤلَّفةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ في محل رفع خبر "أنَّ". وصفاتُ ضميرِ الشأن في هذه الجملة وطبيعتُه تشبهُ ما جاء في الجمل السابقة.

{לֹא תַעֲשׂוּ לָכֶם אֱלִילִם וּפֶסֶל..... כִּי אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם.....}[2] لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تمثالاً..... لأني **أنا الربُّ إلهُكُم**....

وجاء في الإصحاح السادس والعشرين قولُ الربِّ:" **אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם أنا الربُّ إلهُكُم**"، **ف " أنا" ضمير الشأنِ**

في محل رفع مبتدأ، وجملة :"**الربُّ إلهُكُم**" جملةٌ تفسيريَّةٌ مؤلَّفةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ في محل رفع خبر **ل"أنا"**. واسْتُعْمل الضمير في هذه الجملة كما اسْتُعْمل في الجمل السابقة التي وقفتُ عليها.

{וַיְדַבֵּר יְהוָה אֶל-מֹשֶׁה לֵאמֹר: דַּבֵּר אֶל בְּנֵי יִשְׂרָאֵל וְאָמַרְתָּ אֲלֵהֶם אֲנִי יְהוָה אֱלֹהֵיכֶם.....}[3]

وكلَّم الربُّ موسى قائلاً: كَلِّمْ بني إسرائيل وقل لهم: **أنا الربُّ إلهُكُم**.

وجاء في الإصحاح السادس والأربعين قول الإله: " **אָנֹכִי הָאֵל אֱלֹהֵי אָבִי** **أنا اللهُ إلهُ أبيكَ**" ف "أنا"ضمير الشأن في محل رفع مبتدأٍ، وجملة " **اللهُ إلهُ أبيك**" جملةٌ تفسيريةٌ مؤلَّفةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ في محل رفع خبر لضمير الشأن "أنا".ولم تتقدَّم الجملة التفسيريَّة أو جزء منها على ضمير الشأن في هذه الجملة، وفي غيرها

{וַיִּסַּע יִשְׂרָאֵל וְכָל אֲשֶׁר לוֹ וַיָּבֹא בְּאֵר שָׁבַע..... וַיֹּמֶר אֱלֹהִים לְיִשְׂרָאֵל.... יַעֲקֹב! יַעֲקֹב! וַיֹּמֶר הִנֵּנִי. וַיֹּמֶר אָנֹכִי הָאֵל אֱלֹהֵי אָבִי...}[4] وارتحل إسرائيل وكل ما كان له وأتى إلى بئر السبع..... فكلم الله إسرائيل.... يعقوب! يعقوب! فقال هأنذا. فقال: **أنا اللهُ إلهُ أبيك**...

.

---

[1] – (תהלה, מר ה), מִלּוֹן חָדָשׁ, אַבְרָהָם אֶבן – שׁוֹשָׁן, הוֹצָאַת (קְרִיַת – סֵפֶר) יְרוּשָׁלַיִם, 1968, כֶּרֶךְ רִאשׁוֹן, ע" \263\

القاموس الحديث، أبراهام بن شوشان، إصدار كريات سيفر، القدس، ١٩٦٨، المجلد الأول، الصفحة ٢٦٣.

[2] – ספר (תורה נביאים וכתובים), CAP. xxvi ,Printed in Sweden 1971, לְוִיִים, כו, ע"\208\, لاويين، الإصحاح السادس والعشرون...

[3] – ספר (תורה נביאים וכתובים), CAP. xviii ,Printed in Sweden 1971, לְוִיִים, יח, ע"\193\, لاويين، الإصحاح الثامن عشر...

[4] – ספר (תורה נביאים וכתובים), CAP. xi,vi ,Printed in Sweden 1971 – בְּרֵאשִׁית, מו, ע"/79/, تكوين، الإصحاح السادس والأربعون.

وورد في كتاب "إليف مليم"، الجزء الثالث،في درس بعنوان: " من كنْز إسرائيل " : " **אַתָּה ה" אֱלֹהֵנוּ מֶלֶךְ הָעוֹלָם أنت اللهُ إلهُنا"** ف أنت ضميرُ الشأنِ منفصلٌ في محل رفع مبتدأ، وجملة: "**اللهُ إلهنا**" جملةٌ تفسيريةٌ مؤلَّفةٌ من مبتدأ وخبر في محل رفع خبر لـ"أنت".وهذا شبيهٌ بقوله تعالى: ﴿ إنَّه أنا اللهُ﴾ [النمل/٩]

בָּרוּךְ אַתָּה ה" אֱלֹהֵנוּ מֶלֶךְ הָעוֹלָם הַזָּן אֶת הָעוֹלָם כֻּלּוֹ....(١)

مبارك **أنتَ يهوه إلهنا ملك العالَم** مُقيتُ العالَم كله....

وورد في كتاب "إليف مليم"، الجزء الثالث، في درس بعنوان: " من كنْز إسرائيل " أيضاً :" **אֱלֹהֵנוּ עַל שֶׁהִנְחַלְתָּ לַאֲבוֹתֵינוּ אֶרֶץ חֶמְדָּה** إلهناعلى **أنكَ نَحَلْتَ آباءنا بلاداً ساحرةً وواسعةً**" و" **הוֹצֵאתָנוּ ה" אֱלֹהֵנוּ מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם** على **أنكَ أخرجتنا يهوه إلهنا** من بلاد مصر"."أنَّ" والكاف ضمير الشأن في محل نصب اسمها، وجملة " **نَحَلْتَ آباءنا بلاداً ساحرةً وواسعةً**"جملةٌ فعليَّةٌ تفسيريَّةٌ في محل رفع خبر أنَّ،وجملة" **أخرجتنا يهوه إلهنا** من بلاد مصر" جملةٌ فعليَّةٌ تفسيريَّةٌ أيضاً في محل رفع خبر أنَّ الثانية، وهذا شبيهٌ بقوله تعالى:﴿إنَّهُ من يأتِ رَبَّهُ مُجْرِماً﴾ [طه/٧٤].

נוֹדֶה לְךָ ה" אֱלֹהֵנוּ עַל שֶׁהִנְחַלְתָּ לַאֲבוֹתֵינוּ אֶרֶץ חֶמְדָּה וּרְחָבָה וְעַל שֶׁהוֹצֵאתָנוּ ה" אֱלֹהֵנוּ מֵאֶרֶץ מִצְרַיִם[٢]

نشكرُ لكَ يهوه إلهنا على **أنكَ نَحَلْتَ**[٣] **آباءنا بلاداً ساحرة وواسعة** وعلى **أنكَ أخرجتنا يهوه إلهنا** من بلاد مصر.

וְעַל הַכֹּל ה" אֱלֹהֵנוּ אֲנַחְנוּ מוֹדִים לְךָ وعلى كلِّ شيء نحن شاكرون لكَ يهوه إلهنا.

من خلال هذه الأمثلة القليلة التي وقفت عليها في سفر التكوين وكتب العبادات والمعجمات العبرية، انتهيت إلى أنَّ الضميرَ فيها يدلُّ على الشأنِ والأمرِ والخطبِ والحالِ، لأنَّها لم تُستعملْ إلاَّ فيما يعظُمُ من الأحوال والأمور،ووجدتُ هذا الضميرَ، يقع مبتدأً تارةً أو اسماً لـ"إنَّ" أو إحدى أخواتها تارةً أخرى، ويقعُ بعده جملةٌ تفسيريَّةٌ،توضِّحُ مدلولَه، وجاءتْ هذه الجملةُ متأخِّرةً عنه، ومرجعُهُ يعودُ على مضمونها، ولم تتقدَّمْ هذه الجملةُ عليه، وجاء هذا الضميرُ مفرداً لاغير، ولم يُتْبعْ بتابعٍ.

---

(١) - ספר אלף מלים, כרך (ג), (מאוצר ישראל), (אהרון רוזין), הוצאת ספרים אחיאסף, ישראל, תל – אביב, 1973, ע"(43).

كتاب إليف مليم، من كنز إسرائيل، أهرون روزين، إصدار سفريم آحي آساف، تل أبيب،٣ / ٤٣، **١٩٧٣**م .

(٢) – السابق ٣/ ٤٣ .

(٣) – نحلتَ : أعطيتَ بلا عوضٍ . اللسان (نحل)

وإذا ما أمعنّا النظرَ في ضميرِ الشأنِ في العبريّةِ فإنَّنا نجدُ تشابهاً كبيراً بينه وبين ضميرِ الشأنِ في العربيّةِ، من حيثُ صفاتُهُ وطبيعتُهُ، مع فارقٍ في الاستعمال، إذ اسْتُعْمِل في العربيَّةِ على نطاقٍ أوسعَ. لأنَّه جاء مبتدأً أو اسماً لـ"كان أو إحدى أخواتها، أولـ إنَّ أو إحدى أخواتها،أو جاء مفعولاً به لـ ظننت أو إحدى أخواتها".

وهذا يدلُّ على أنَّ اللغاتِ الشرقيَّةَ أسرةٌ واحدةٌ، وأوجهُ التشابهِ موجودةٌ بينها إلى حدٍّ كبيرٍ، ولاسيما في أفعالها وأسمائها وضمائرها.